رسالة في المسائل الخمس

(الواجبة معرفتها)

وله أيضا قدس الله روحه ونور ضريحه ما نصه :

الواجب عليك ان تعرف خمس مسائل :

(الاولى) ان الله لما ارسل محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق كان أول كلمة أرسله الله بها قوله تعالى (يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر) ومعنى قوله (فانذر) الانذار عن الشرك بالله. وكانوا يجعلونه دينا يتقربون به الى الله تعالى مع انهم يفعلون من الظلم والفواحش مالا يحصى ، ويعلمون انه معصية . فمن فهم فهما جيدا ان الله امره بالانذار عن دينهم الذي يتقربون به الى الله قبل الانذار عن الزنى ونكاح الامهات والاخوات، وعرف الشرك الذي يفعلونه رأى العجب العجاب، خصوصا ان عرف ان شركهم دون شرك كثير من الناس اليوم لقوله تعالى (وإذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله ، قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار)

(الثانية) انه لما أنذرهم عن الشرك أمرهم بالتوحيد الذي هو اخلاص الدين لله تعالى وهو معنى قوله تعالى (وربك فكبر) يعني عظمه بالاخلاص. وليس المراد تكبير الاذان وغيره فانه لم يشرع الا في المدينة

فاذا عرف الانسان ان ترك الشرك لا ينفع الا إذا لبس ثوب الاخلاص وفهم الاخلاص فهما جيدا وعرف ما عليه كثير من الناس من ظنهم ان الاخلاص وترك دعوة الصالحين نقص لهم، كما قال النصارى: ان محمداً يشتم عيسى، لما ذكر انه عبد الله ورسوله ليس يعبد مع الله تعالى

فمن فهم هذا عرف غربة الاسلام خصوصا ان أحضر بقلبه ما فعل الذين يدعون

انهم من العلماء من معاداة هذه المسئله وتكفيرهم من دان بها وجاهدهم مع عباد قبة ابي طالب وأمثالها وقبة الكواز وأمثالها، وفتواهم لهم بحل دمائنا وأموالنا لتركنا ماهم عليه. ويقولون لهم انهم ينكرون دينكم. فلا تعرف هذه والتي قبلها الا باحضارك في ذهنك ما علمت انهم فعلوا مع أهل هذه المسئلة وما فعلوا مع المشركين، فحينئذ تعرف ان دين الاسلام ليس مجرد المعرفة فان ابليس وفرعون يعرفونه، وكذلك اليهود يعرفونه كما يعرفون ابناءهم، وانما الاسلام هو العمل بذلك والحب والبغض وترك موالاة الاباء والابناء في هذا

(الثالثة) أن تحضر قلبك ان الله سبحانه لم يرسل الرسول إلا ليصدق ويتبع ولم يرسله ليكذب ويعصى. فاذا تأملت إقرار من يدعي انه من العلماء بالتوحيد وانه دين الله ورسوله، لكن من دخل فيه فهو من الخوارج الذين تحل دماؤهم واموالهم، ومن ابغضه وسبه وصد الناس عنه فهو الذي على الحق، وكذلك اقرارهم بالشرك وقولهم: ليس عندنا قبة نعبدها بل جهادهم الجهاد المعروف مع اهل القباب وان من فارقهم حل ماله ودمه،

فاذا عرف الانسان هذه المسئلة الثالثة كما ينبغي وعرف انه اجتمع في قلبه ولو يوما واحدا ان قلبه قبل كلامهم أن التوحيد دين الله ورسوله ولكن لا بد من بغضه وعداوته، وان ماعليه اهل القباب هو الشرك ولكن هم السواد الاعظم وهم على الحق ولا يقول انهم يفعلون الشرك، فاجتماع هذه الاضداد في القلب مع انها ابلغ من الجنون فهي من أعظم قدرة الله تعالى وهي من أعظم ما يعرفك بالله وبنفسك، ومن عرف نفسه وعرف ربه تم امره. فكيف اذا علمت ان هذين الضدين اجتمعا في قلب صالح وحيوان وأمثالها اكثر من عشرين سنة

(الرابعة) انك تعلم ان الله أنزل على رسوله (ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) مع انهم راودوه

على قول كلمة او فعل مرة واحدة ، ووعدوه ان ذلك يقودهم إلى الاسلام

اذا عرفت ان أعظم أهل الاخلاص وأكثرهم حسنات لو قال كلمة الشرك مع كراهيته لها ليقود غيره بها إلى الاسلام حبط عمله وصار من الخاسرين، فكيف بمن أظهر انه منهم وتكلم بمانه كلمة لاجل تجارة او لاجل أن يحج لما منع الموحدين من الحج كما منعوا النبي ﷺ وأصحابه حتى فتح الله مكة

فمن فهم هذا فهما جيداً انفتح له معرفة قدر التوحيد عند الله عز وجل وقدر الشرك ، ولكن ان عرفت هذه بعد أربع سنين تنعمى لك أعني المعرفة التامة كما تعرف ان قطرة من البول تنقض الوضوء الكامل إذا خرجت ولو بغير اختياره

(الخامسة) ان الرسول ﷺ فرض الايمان بما جاء به كله لا تفريق فيه ، فمن آمن ببعض وكفر ببعض فهو كافر حقا ، بل لابد من الايمان بالكتاب كله، فاذا عرفت ان من الناس من يصلي ويصوم ويترك كثيراً من المحرمات لكن لا يورثون المرأة ويزعمون ان ذلك هو الذي ينبغي اتباعه بل لو ورثها أحد عندهم وخالف عادتهم لانكرت قلوبهم ذلك ، او ينكر عدة المرأة في بيت زوجها مع علمه بقول الله تعالى (ولا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) ويزعم ان تركها في بيت زوجها لا يصلح ، وان اخراجها منه هو الذي ينبغي فعله، او أنكر التحية بالسلام مع معرفته أن الله شرعها حبا لتحية الجاهلية لما ألفها، فهذا يكفر لانه آمن ببعض، وكفر ببعض، بخلاف من فعل المعصية او ترك الفرض مثل فعل الزنى وترك بر الوالدين مع اعترافه انه مخطيء وان أمر الله هو الصواب(١)

واعلم أني مثلت لك بهذه الثلاث لتحذو عليها فان عند الناس من هذا

(١) يعنى أن الكفر في استقباح شرع الله وتفضيل العادات المحرمة عليه لا مجرد فعل المحرم مع اعتقاد فاعله انه مذنب وأن فعله قبيح

كثير يخالف ماحدَّ الله في القرآن، وصار المعروف عندهم ماألفوه عند أهلهم ، ولو يفعل أحد ماذكر الله ويترك العادة لأنكروا عليه واستسفهوه ، بخلاف من يفعل او يترك مع اعترافه بالخطأ ، وإيمانه بما ذكر الله ،

واعلم ان هـذه المسئلة الخامسة من أشد ماعلى الناس خطراً في وقتنا بسبب غربة الاسلام والله أعلم

رسالة فى النفاق بقسميه وصفات المنافقين

قال : أسكنه الله الفردوس الاعلى :

اعلم رحمك الله ان الله تعالى منذ بعث محمداً ﷺ وأعزه بالهجرة والنصر صار الناس ثلاثة أقسام: قسم مؤمنون وهم الذين آمنوا به ظاهراً وباطنا ، وقسم كفار وهم الذين أظهروا الكفر به ، وقسم منافقون وهم الذين آمنوا به ظاهرا لاباطنا. ولهذا افتتح الله سورة البقرة باربع آيات في صفة المؤمنين، وآيتين في صفة الكافرين ، وثلاث عشرة في صفة المنافقين ،

وكل واحد من الايمان والكفر والنفاق له دعائم وشعب كما دل عليه الكتاب والسنة، وكما فسره علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الحديث المأثور عنه ، فمن النفاق ماهو نفاق أكبر ويكون صاحبه في الدرك الاسفل من النار كنفاق عبدالله بن أبيّ وغيره، مثل ان يظهر تكذيب الرسول او جحود بعض ماجاء به او بغضه او عدم اعتقاد وجوب اتباعه ، او المسرة بانخفاض دينه ، او المساءة بظهور دينه ، ونحو ذلك مما لايكون صاحبه إلا عدواً لله ورسوله ، وهذا القدر موجود في زمن الرسول ﷺ . ومازال بعده أكثر من عهده لكون موجبات الايمان على عهده أقوى ، فاذا كانت مع قوتها والنفاق موجود فوجوده فيمادون ذلك أولى به ، وهذا ضرب النفاق الاكبر والعياذ بالله

وأما النفاق الاصغر فهو نفاق الاعمال ونحوها، مثل ان يكذب إذا حدث ويخلف إذا وعد، او يخون اذا ائتمن. للحديث المشهور عنه ﷺ قال «آية المنافق ثلاث: اذا حدث كذب، واذا وعد أخلف، واذا ائتمن خان، وان صلى وصام وزعم انه مسلم»

ومن هذا الباب الاعراض عن الجهاد، فانه من خصال المنافقين لقوله ﷺ «من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق» رواه مسلم.

وقد أنزل الله سورة براءة التي تسمى الفاضحة لانها فضحت المنافقين كما قاله ابن عباس رضي الله عنه قال» هي الفاضحة، مازالت تنزل (ومنهم، ومنهم) حتى ظنوا ان لايبقى أحد الا ذكر فيها» وعن المقداد بن الاسود قال: هي سورة البحوث لانها بحثت عن سرائر المنافقين. وقال قتادة: هي المثيرة لانها أثارت مخازي المنافقين. وهذه السورة نزلت في آخر مغازي رسول الله ﷺ يوم غزوة تبوك، وقد أعز الله الاسلام وأظهره فكشف فيها عن أحوال المنافقين، ووصفهم فيها بالجبن والبخل. فأما الجبن فهو ترك الجهاد، واما البخل فهو عن النفقة في سبيل الله

وقال تعالى (ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم) الآية. وقال (ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله) الآية

فاما وصفهم فيها بالجبن والفزع فقد قال تعالى (ويحلفون بالله انهم لمنكم وماهم منكم ولكنهم قوم يفرقون* لو يجدون ملجأ) يلجئون اليه مثل المعاقل والحصون (او مغارات) يغورون فيها كما يغور الماء (أو مدخلا) وهو الذي يتكلف الدخول اليه ولو بكلفة ومشقة (لولوا اليه) عن الجهاد (وهم يجمحون) أي يسرعون اسراعا لا يردهم شيء كالفرس الجموح الذي اذا حمل لم يرده اللجام. وقد قال تعالى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم

وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) فحصر المؤمنين فيمن آمن وجاهد. وقال تعالى (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر) الآيتين. فهذا اخبار من الله ان المؤمن لا يستأذن في ترك الجهاد وانما يستأذن الذين لا يؤمنون بالله، فكيف بالتارك من غير استئذان؟

وقال في وصفهم بالشح (وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم - الى قوله - ولا ينفقون الا وهم كارهون) فاذا كان هذا ذم الله تبارك وتعالى لمن أنفق وهو كاره، فكيف بمن ترك النفقة رأسا.

وقد أخبر ان المنافقين لما قربوا من المدينة تارة يقولون للمؤمنين: هذا الذي جرى علينا بشؤمكم، فانتم الذين دعوتم الناس الى هذا الدين وقاتلتم عليه وخالفتموهم. وتارة يقولون: أنتم الذين اشرتم علينا بالمقام هنا والا لو كنا قد سافرنا ما اصابنا هذا. وتارة يقولون: انتم مع قلتكم وضعفكم تريدون أن تكسروا العدو وقد غركم دينكم. وتارة يقولون: انتم مجانين لا عقل لكم تريدون أن تهلكوا أنفسكم وتهلكوا الناس معكم. وتارة يقولون أنواعا من الكلام المؤذي، فاخبر الله عنهم بقوله عز وجل (يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يأت الاحزاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب يسألون عن انبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا) فوصفهم تبارك وتعالى بثلاثة أوصاف:

الاول انهم لخوفهم يحسبون الاحزاب لم ينصرفوا عن البلد وهذا حال الجبان الذي في قلبه مرض، فان قلبه يبادر الى تصديق الخبر المخوف وتكذيب خبر الامن. الوصف الثاني: ان الاحزاب اذا جاؤا تمنوا ان لا يكونوا بينكم بل في البادية بين الاعراب يسألون عن انبائكم: ايش خبر المدينة؟ وايش خبر الناس؟ الوصف الثالث: ان الاحزاب اذا اتوا وهم فيكم لم يقاتلوا الا قليلا.

وهذه الصفات الثلاث منطبقة على كثير من الناس.

رسالة فى كلمة لا اله الا الله

بين فيها حقيقة التوحيد ومعناه ، وكونه لا ينجي من النار سواه

وله في معنى لا اله الا الله ما نصه :

قال رحمه الله تعالى ، هذه كلمات في بيان شهادة أن لا إله إلا الله ، وبيان التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وهو افرض من الصلاة والزكاة وصوم رمضان ،

فرحم الله امرأ نصح نفسه وعرف أن وراءه جنة وناراً ، وان الله عز وجل جعل لكل منهما اعمالا . فان سأل عن ذلك وجد رأس اعمال أهل الجنة توحيد الله تعالى . فمن أتى به يوم القيامة فهو من أهل الجنة قطعا ولو كان عليه من الذنوب مثل الجبال ، ورأس اعمال أهل النار الشرك بالله. فمن مات على ذلك ، فلو أتى يوم القيامة بعبادة الله الليل والنهار والصدقة والاحسان فهو من أهل النار قطعاً، كالنصارى الذين يبني أحدهم صومعة في البرية ويزهد في الدنيا ويتعبد الليل والنهار لكنه خلط ذلك بالشرك بالله ـ تعالى الله عن ذلك

قال الله عز وجل (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءاً منثوراً) وقال تعالى (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء) الآية .

فرحم الله امرءاً تنبه لهذا الامر العظيم قبل ان يعض الظالم على يديه ويقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا .

نسأل الله ان يهدينا واخواننا المسلمين إلى الصراط المستقيم، صراط الذين انعم عليهم ، وان يجنبنا طريق المغضوب عليهم، وهم العلماء الذين علموا ولم يعملوا، وطريق الضالين وهم العباد الجهال

فما اعظم هذا الدعاء وما احوج من دعا به ان يخلص قلبه في كل ركعة

إذا قرأ بها بين يدي الله تعالى ان يهديه وان ينجيه فان الله قد ذكر أنه يستجيب هذا الدعاء الذي في الفاتحة إذا دعا به الانسان من قلب حاضر

(فنقول) لاإله إلا الله هي العروة الوثقى، وهي كلمة التقوى، وهي الحنيفية ملة ابراهيم وهي التي جعلها الله عز وجل كلمة باقية في عقبه، وهي التي خلقت لاجلها المخلوقات، وبها قامت الارض والسموات، ولاجلها أرسلت الرسل وانزلت الكتب، قال الله تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل امة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) والمراد معني هذه الكلمة، واما التلفظ باللسان مع الجهل بمعناها فلا ينفع ، فان المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار في الدرك الاسفل من النار .

(فاعلم) أن معنى هذه الكلمة نفي الآلهية عما سوى الله تبارك وتعالى، واثباتها كلها لله وحده لا شريك له، ليس فيها حق لغيره لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل كما قال تعالى (إن كل من في السموات والارض إلا آتي الرحمن عبداً * لقد احصاهم وعدهم عداً * وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً) وقال تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا) وقال تعالى (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها) الآية

فاذا قيل: لا خالق إلا الله فهذا معروف لا يشاركه في ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل ، وإذا قيل لا يرزق إلا الله فكذلك ، فاذا قيل لاإله إلا الله فكذلك فتفكر رحمك الله واسأل عن معنى لاإله إلا الله كما تسأل عن معنى الخالق والرازق

فاعلم ان الاله هو المعبود . هذا هو تفسير هذه اللفظة باجماع أهل العلم، فمن عبد شيئا فقد اتخذه إلها من دون الله، وجميع ذلك باطل، إلا إله واحد وهو الله وحده تبارك وتعالى علوا كبيراً

والعبادة أنواع كثيرة لكني أمثلها بانواع كثيرة لا تنكر: من ذلك السجود

فلا يجوز لعبد ان يضع وجهه على الارض ساجداً إلا لله وحده لا شريك له ، لا لملك مقرب، ولا لنبي مرسل ولا لولي. ومن ذلك الذبح فلا يجوز لاحد ان يذبح إلا لله وحده كما قرن الله بينهما في القرآن في قوله تعالى (قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له) والنسك هو الذبح وقال (فصل لربك وانحر) فتفطن لهذا

واعلم أن من ذبح لغير الله من جني أو قبر فهو كما لو سجد له . وقد لعنه رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح قال « لعن الله من ذبح لغير الله »

ومن أنواع العبادة الدعاء كما كان المؤمنون يدعون الله ليلا ونهاراً في الشدة والرخاء وحده ، لا يشك أحد ان هذا من أنواع العبادة (١)

فتفكر رحمك الله أنه فيما حدث في الناس اليوم من دعاء غير الله في الشدة والرخاء، هذا يريد سفراً فيأتي عند قبر أو غيره فيدخل عليه بماله عمن ينهبه . وهذا تلحقه الشدة في البر أو البحر فيستغيث بعبد القادر أو السمان أو بنبي من الانبياء أو ولي من الاولياء ، أن ينجيه من هذه الشدة .

فيقال لهذا الجاهل: إن كنت تعرف أن الاله هو المعبود وتعرف أن الدعاء من العبادة فكيف تدعو مخلوقا ميتاً عاجزاً وتترك الحي القيوم الرءوف الرحيم القدير؟ فيقول هذا المشرك : ان الامر بيد الله ولكن هذا العبد الصالح يشفع لي عند الله وتنفعني شفاعته وجاهه، ويظن أن ذلك يسلمه من الشرك .

---

(١) وهو أعلى الانواع وأدلها على الايمان الصحيح والتوحيد الخالص ، فالسجود انما كان عبادة بحكم الشرع، وقد كان عادة في التحية من قبل، ومنه سجود يعقوب واولاده لولده يوسف عليهم السلام. واما الدعاء فهو ركن العبادة الاعظم بمقتضى الفطرة وفي دين الله على ألسنة جميع الامم ، ولذلك قال (ص) « الدعاء هو العبادة » رواه أحمد والبخاري في الادب المفرد وأصحاب السنن الاربعة وغيرهم من حديث النعمان بن بشير وأبو يعلى من حديث البراء وفي معناه « الدعاء مخ العبادة » رواه الترمذي من حديث أنس

فيقال لهذا الجاهل: المشركون عباد الاصنام الذين قاتلهم رسول الله ﷺ وغنم أموالهم وأبناءهم ونساءهم كلهم يعتقدون أن الله هو النافع الضار الذي يدبر الامر وانما أرادوا ماأردت من الشفاعة عند الله، كما قال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وقوله (والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) وإلا فهم يعترفون بان الله هو الخالق الرازق النافع الضار كما أخبر عنهم بقوله (قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار؟ ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي؟ ومن يدبر الامر؟ فسيقولون الله. فقل أفلا تتقون)

فليتدبر اللبيب العاقل الناصح لنفسه الذي يعرف أن بعد الموت جنة وناراً ـ هذا الموضع، ويعرف الشرك بالله الذي قال الله فيه (إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) الآية وقال (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) فما بعد هذا البيان بيان، اذا كان الله عز وجل قد حكى عن الكفار أنهم يقرون أنه هو الخالق الرازق، والمحيي المميت الذي يدبر الامر، وانما أرادوا من الذين يعتقدون فيهم ـ التقرب والشفاعة عند الله تعالى (فكم من) آية في القرآن ذكر الله فيها هذا كقوله تعالى (قل لمن الارض ومن فيها إن كنتم تعلمون * سيقولون لله — الى قوله — فأنى تسحرون) وكقوله (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله) (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها ليقولن الله) وغير ذلك من الآيات التي أخبر الله بها عنهم انهم أقروا بهذا لله وحده، وانهم ماأرادوا من الذين يعتقدون فيهم إلا الشفاعة لا غير ذلك.

فان احتج بعض المشركين ان اولئك يعتقدون في اصنام من حجارة وخشب، ونحن نعتقد في الصالحين. قيل له والكفار أيضا منهم من يعتقد في الصالحين مثل

الملائكة وعيسى بن مريم . وفي الاولياء مثل العزير واللات ، وناس من الجن . وقد ذكر الله عز وجل في كتابه مايدل على هذا فقال في الذين يعتقدون في الملائكة ليشفعوا لهم (ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون* قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) وقال (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) وقال فيمن اعتقد في عيسى (ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) وقال (أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضراً ولا نفعا والله هو السميع العليم) فاذا كان عيسى بن مريم وهو من أفضل الرسل قيل فيه هذا فكيف بعبد القادر أو غيره إذ يقال فيه انه يملك ضراً أو نفعاً؟

وقال في حق الاولياء (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا * اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب* ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) قال طائفة من السلف: كان أقوام يدعون الملائكة وعزيرا والمسيح فقال الله :هؤلاء عبيدي كما أنتم عبيدي ، يرجون رحمتي كما ترجون أنتم رحمتي، ويخافون عذابي كما تخافون عذابي

فرحم الله امرأ تفكر في هذه الآية العظيمة وفيما نزلت فيه، وتفكر ان الذين اعتقدوا فيهم انما أرادوا التقرب إلى الله والشفاعة عنده بهم. وهذا كله يدور على كلمتين

الاولى أن تعرف ان الكفار يعرفون ان الله سبحانه هو الخالق الرازق الذي يدبر الامر وحده ، وانما أرادوا التقرب بهؤلاء إلى الله تعالى

والثانية ان تعرف ان منهم أناساً يعتقدون في أناس من الانبياء والصالحين مثل عيسى والعزير والاولياء، فصاروا هم والذين يعتقدون في الاصنام من الحجر والشجر واحداً ، فلما جاءهم رسول الله ﷺ لم يفرق بين الذين يعتقدون في الاوثان من الخشب والحجر . والذين يعتقدون في الانبياء والصالحين

إذا تبين هذا لك عرفت دين الله .

ولو قال المشرك بعد ذلك : هذا بين نعرفه في أول الامر ولا نخاف منه.

قيل: ان كان أصحاب رسول الله ﷺ لم يعرفوا هذا إلا بعد التعلم، ومن أنواع الشرك أشياء ماعرفوها إلا بعد سنين، فان عرفت هذا بلاتعلم فأنت أعلم منهم ، بل الانبياء لم يعرفوا هذا إلا بعد أن علمهم الله تعالى، قال الله تعالى لأعلم الخلق محمد ﷺ (فاعلم انه لا إله الا الله) وقال تعالى (ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين * بل الله فاعبد وكن من الشاكرين)

فاذا كان هذا حال نبينا وحال الخليل ابراهيم عليه السلام إذيوصي بها أولاده وهم أنبياء . قال الله تعالى (ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب : يابني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) وقال تعالى (وقال لقمان لابنه وهو يعظه يابني لاتشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) فاذا كان هذا الامر لايخاف على المسلمين منه فما بال الخليل يخاف على نفسه وعلى بنيه وهم أنبياء حيث قال (رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الاصنام)؟ مابال العليم الحكيم لما أنزل كتابه ليخرج الناس من الظلمات الى النور جعله في هذا الامر، وأكثر الكلام فيه وبينه، وضرب فيه الامثال، وحذر منه وأبدى وأعاد ؟ فاذا كان الناس يفهمونه بلاتعلم، ولا يخاف عليهم منه فما بال رب العالمين جعل أكثر كتابه فيه ؟ فسبحان من طبع على قلب من شاء من خلقه فأصمهم وأعمى أبصارهم

وأنت يامن منَّ الله عليه بالاسلام وعرف معنى لاإله إلا الله لاتظن أنك اذا قلت : هذا هو الحق وتارك ماسواه (١) لكن لاأتعرض لهم ولا أقول فيهم شيئاً، لاتظن أنك غير عاص ربك ، بل لابد من بغضهم وبغض من يحبهم ومسبتهم

(١) كذا في الاصل ويظهر انه سقط من هنا شيء

ومعاداتهم كما قال أبوك ابراهيم والذين معه لقومهم (إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده) وقال تعالى (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) الآية، وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)

ولو قال رجل أنا أتبع النبي ﷺ وهو على الحق لكن لا أتعرض للات والعزى ولا أتعرض لابي جهل وأمثاله، ماعلي منهم؟ لم يصح اسلامه

وأما مجادلة بعض المشركين بان هؤلاء الطواغيت ماأمروا الناس بهذا ولا رضوا به، فهذا لايقوله إلامشرك مكابر، فان هؤلاء ماكلوا أموال الناس بالباطل ولا ترأسوا عليهم، ولا قربوا ما قربوا إلا بهذا، واذا رأوا رجلا موحداً منكراً لهذا الشرك سبوه وآذوه. واذا رأوا مشركا كافراً تابعا للشيطان قربوه وأحبوه وزوجوه بناتهم وعدوا ذلك شرفا.

وهذا القائل يعلم أن قوله ذلك كذب فانه لو يحضر عندهم ويسمع بعض المشركين يقول: جاءتني شدة فجئت الشيخ فلان أو السيد فلان فنذرت له فخلصني، لم يجز أن يقول هذا القائل لايضر ولاينفع إلا الله، بل لو قال هذا وأشاعه في الناس لأبغضه الطواغيت بل لو قدروا على قتله لقتلوه، وبالجملة لايقول هذا إلامشرك مكابر، وإلا فدعواهم هذه وتخويفهم الناس وذكرهم السوالف الكفرية التي اشتهرت عن آبائهم مشهور لاينكره من عرف حالهم كما قال تعالى (شاهدين على أنفسهم بالكفر)

*
* *

ولنختم الكتاب بذكر آية من كتاب الله فيها عبرة لمن اعتبر. قال تعالى في حق الكفار (واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا اياه) فذكر عن الكفار أنهم اذا جاءتهم الشدة تركوا غيره وأخلصوا له الدين، وأهل زماننا اذا جاءتهم الشدة والضر التجؤا إلى غير الله سبحانه وتعالى عن ذلك. فرحم الله من تفكر في هذه الآية وغيرها من الآيات

وأما من منَّ الله عليه بالمعرفة فليحمد الله تعالى وإن أشكل عليه شيء فليسأل أهل العلم عما قال الله ورسوله ولا يبادر بالانكار لأنه ان رد رد على الله . قال الله تعالى (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها انا من المجرمين منتقمون)

***

اعلم رحمك الله أن أشياء من أنواع الشرك الاكبر وقع فيها بعض المصنفين على جهالة لم يفطن لها من ذلك قوله في البردة :

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

وفي الهمزية من جنس هذا وغيره أشياء كثيرة ، وهذا من الدعاء الذي هو العبادة التي لاتصلح إلا لله وحده ،

وإن جادلك بعض المشركين بجلالة هذا القائل وعلمه وصلاحه وقال بجهله كيف هذا ؟ فقل له : أعلم منه وأجل أصحاب موسى الذين اختارهم الله وفضلهم على العالمين وقد قالوا (ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) فاذا خفي هذا على بني اسرائيل مع جلالتهم وفضلهم فما ظنك بغيرهم(١) وقل لهذا الجاهل:

(١) فيه ان بنى اسرائيل الذين قالوا هذا القول لم يكونوا أصحاب جلالة وفضل ولا علم بالدين ولا كانت التوراة نزلت عليهم وانما كانوا مشركين انقذهم موسى عليه السلام من ظلم فرعون وقومه ليتخذ منهم شعبا يعبد الله وحده ويقيم دينه، وقد أجابهم موسى عليه السلام بقوله (إنكم قوم تجهلون) وقد اتخذوا العجل بعد ذلك وعبدوه . وفي القرآن وكذا في التوراة من ذم قوم موسى وتمردهم وعنتهم وايذائهم له في عهد التشريع العجب العجاب ، واما تفضيل بنى اسرائيل على العالمين في زمانهم فالمراد به جملتهم بما كان فيهم من الانبياء والصالحين من قبل موسى الى عهد عيسى عليهم السلام (ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون) =

صلح من الجميع وأعلم أصحاب محمد(١) لما مروا بشجرة فقالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط ، فحلف رسول الله ﷺ أن هذا كما قال بنو اسرائيل لموسى (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة)

ففي هذا عبرتان عظيمتان

(الاولى) ان النبي ﷺ صرح أن من اعتقد في شجرة أو تبرك بها انه متخذها إلها ، والا فأصحاب رسول الله ﷺ يعرفون انها لاتخلق ولا ترزق ، وانما ظنوا ان النبي ﷺ اذا امرهم بالتبرك بها صار فيها بركة

(والعبرة الثانية) ان الشرك قد يقع ممن هو أعلم الناس وأصلحهم وهو لا يدري كما قال رسول الله ﷺ « الشرك اخفى من دبيب النمل » بخلاف قول الجاهل: هذا بين نعرفه .

فاذا اشكل عليك من هذا شيء وأردت بيانه من كلام أهل العلم وإنكار جنس الشرك الذي حرمه الله فهو موجود وابحث عن كلام العلماء في هذا ، ان اردت من الحنابلة ، وان اردت من غيرهم . والله اعلم

(١) كان ينبغي أن يقال بعض أصحاب محمد «ص» من أهل مكة فان الذين قالوا هذا ليسوا أعلمهم كالخلفاء والعبادلة مثلا وانما هم الطلقاء الذين كانوا حديثي عهد بالشرك ، بل كان بعضهم لا يزال على شركه كما ظهر في غزوة حنين فتنبه .

وكتبه محمد رشيد

رسالة أخرى في الشهادتين

(وبعثة محمد ﷺ ودلائل رسالته)

قال ـ صب الله عليه من شآبيب بره ورحمته ووالى :

هذه كلمات في معرفة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وقد غلط أهل زماننا فيها ، وأثبتوا لفظها دون معانيها ، وقد يأتون بادلة على ذلك تلتبس على الجاهل المسكين ، ومن ليس له معرفة في الدين ، وذلك يفضي إلى أعظم المهالك.

فمن ذلك قوله ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم » الحديث . وكذا قوله ﷺ لما سئل عن شفاعته. من أحق بها يوم القيامة ؟ قال «من قال لا إله الا الله خالصا من قلبه» وقوله ﷺ « من كان آخر كلامه لا إله الا الله دخل الجنة» وكذلك حديث عتبان بن مالك « فان الله حرم على النار من قال لا إله الا الله يبتغي بذلك وجه الله »

وهذه الاحاديث الصحيحة اذا رآها هذا الجاهل أو بعضها أو سمعها من غيره طابت نفسه ، وقرت عينه ، واستنقذه المساعد على ذلك ، وليس الامر كما يظنه هذا الجاهل المشرك ، فلو انه دعا غير الله أو ذبح له أو حلف به أو نذر له لم يرد ذلك شركا ولا محرما ولا مكروها. فاذا أنكر عليه أحد من ماينا في التوحيد لله والعمل بما أمر الله اشمأز ونفر وعارض بقوله: قال رسول الله وقال رسول الله ، وهذا لم يدر حقيقة الحال ، فلو كان الامر كما قال لما قال الصديق رضي الله عنه في أهل الردة «والله لو منعوني عناقا ـ أو قال عقالا ـ كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه» أفيظن هذا الجاهل أنهم لم يقولوا لا إله الا الله؟ وما يصنع هذا الجاهل بقول رسول الله ﷺ في الخوارج « أينما لقيتموهم فاقتلوهم، فان في قتلهم أجراً لمن قتلهم، فانهم شر قتيل

تحت أديم السماء »؟ أفيظن هذا الجاهل ان الخوارج الذين قال فيهم رسول الله ﷺ هذا انهم لم يقولوا لا إله الا الله وقال ﷺ « في هذه الامة ـ ولم يقل منها ـ قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم » (١) وكذلك أهل حلقة الذكر لما رآهم أبو موسى في المسجد في كل حلقة رجل يقول: سبحوا مائة ، هللوا مائة . الحديث فلما انكر عليهم عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله ﷺ قالوا والله ما أردنا الا الخير. قال: كم من مريد للخير لم يصبه (٢) ان رسول الله ﷺ حدثنا « ان قوما يقرؤن القرآن لا يجاوز حلوقهم » أو قال « تراقيهم » وايم الله لا أدري ان يكون أكثرهم الا منكم، قال عمرو بن سلمة: فما كان الا قليل حتى رأوا أولئك يطاعنون أصحاب رسول الله ﷺ يوم النهروان مع الخوارج. أفيظن هذا الجاهل المشرك انهم يتركون ذلك لكونهم يسبحون ويهللون ويكبرون

وكذلك المنافقون على عصر رسول الله ﷺ يجاهدون في سبيل الله باموالهم وأنفسهم ويصلون مع رسول الله ﷺ الصلوات الخمس ويحجون معه، قال الله تعالى (ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار) أفيظن هذا الجاهل انهم لم يقولوا لا اله الا الله؟ وكذلك قاتل النفس بغير حق يقتل . أفيظن هذا الجاهل انه لم يقل لا اله الا الله؟ وانه لم يقلها خالصا من قلبه ؟ فسبحان من طبع على قلب من شاء من عباده وأخفى عليه الصواب ، وأسلكه مسلك البهائم والدواب ، (أولئك كالانعام بل هم أضل) حتى قال هؤلاء الجهلة ممن ينتسب

(١) فيه ان الخليفة الرابع رضى الله عنه قاتلهم ببغيهم ولم يحكم بكفرهم وكانوا متأولين كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية في عدة مواضع

(٢) انكر ابن مسعود (رض) ذلك على قائله لأنه بدعة كما بينه الشاطبي في الاعتصام وغيره

الى العلم والفقه قبلتنا من أمها لا يكفر (١)

فلاإله إلا الله نفي واثبات الآلهية كلها لله فمن قصد شيئا من قبر أوشجر أونجم أو ملك مقرب أو نبي مرسل لجلب نفع وكشف ضر فقد اتخذه إلها من دون الله فكذب بلااله الا الله يستتاب فان تاب والا قتل

فان قال هذا المشرك: لم أقصد إلا التبرك، وأني لاعلم ان الله هو الذي ينفع ويضر. فقل له: ان بني اسرائيل ما أرادوا إلا ما أردت كما أخبر الله عنهم أنهم لما جاوزوا البحر أتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة فاجابهم بقوله (انكم قوم تجهلون) الآيتين. وحديث أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر والمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها اسلحتهم يقال لها ذات انواط، فمررنا بسدرة، فقلنا يارسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط، فقال رسول الله ﷺ « الله أكبر إنها السنن(٢) قلتم والذي نفسي بيده كما قال بنو اسرائيل لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، لتركبن سنن من كان قبلكم »

وقال تعالى (افرأيتم اللات والعزى) وفي الصحيح عن ابن عباس وغيره أنه رجل صالح كان يلت السويق للحاج فمات فعكفوا على قبره

فيرجع هذا المشرك ويقول هذا الشجر والحجر، وانا أعتقد في اناس

---

(١) يعني الشيخ رحمه الله ان هؤلاء الجهلة لم يفهموا قول أهل السنة انهم لايكفرون احدا من اهل القبلة وانهم يعنون به عدم التكفير بالذنب لابالشرك والكفر الذي لا يحتمل التأويل. والتأويل الذي يمنع تكفير الشخص المعين انما يمنعه مادام محتملا فاذا قامت عليه الحجة وذهب احتمال التأويل ظهر أنه مرتد ليس له عذر

(٢) الضمير هنا ضمير القصة والشأن، والسنن سنن الله في الامم وهي قواعد الاجتماع والاحوال التي يسنن فيها بعض الناس بما كان عليه غيرهم

صالحين انبياء واولياء أريد منهم الشفاعة عند الله كما يشفع ذو الحاجة عند الملوك، وأريد منهم القربة إلى الله، فقل له: هذا مذهب الكفار بعينه كما أخبر سبحانه بقوله (والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) وقوله (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا)

وقد ذكر أناسا يعبدون المسيح وعزيراً فقال الله هؤلاء عبيدي يرجون رحمتي كما ترجون، ويخافون عذابي كما تخافون وأنزل الله سبحانه (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) الآيتين وقال تعالى (ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون؟) الآيتين.

والقرآن بل والكتب السماوية من أولها إلى آخرها مصرحة ببطلان هذا الشرك وكفر أهله، وانهم اعداء الله ورسوله، وانهم اولياء الشيطان، وأنه سبحانه لا يغفر لهم ولا يقبل عملهم، كما قال تعالى (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وقال تعالى (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءاً منثوراً) وقال تعالى (فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون) قال ابن مسعود وابن عباس: لا تجعلوا له اكفاء من الرجال تطيعونهم في معصية الله. وقال رجل للنبي ﷺ ماشاء الله وشئت فقال «اجعلتني لله ندا؟ قل ماشاء الله وحده» وقال ﷺ لاصحابه « اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر» فسئل عنه فقال « الرياء »

وبالجملة فاكثر أهل الارض مفتونون بعبادة الاصنام والاوثان، ولم يتخلص من ذلك إلا الحنفاء اتباع ملة ابراهيم عليه السلام. وعبادتها في الارض من قبل قوم نوح كما ذكر الله وهي كلها ووقوفها وسدانتها وحجابتها والكتب المصنفة في شرائع عبادتها طبقت الارض قال إمام الحنفاء (واجنبني وبني أن نعبد الاصنام) كما قص الله ذلك عنهم في القرآن وأنجى الرسل وأتباعهم من الموحدين.

وكفى في معرفة كثرتهم وانهم أكثر أهل الارض ما صح عن النبي ﷺ أن

بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون قال الله تعالى (فأبى أكثر الناس الا كفوراً) وقال (وإن تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله) وقال (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين)

***

ولما أراد سبحانه إظهار توحيده ، وإكمال دينه ، وأن تكون كلمته هي العليا ، وكلمة الذين كفروا هي السفلى ، بعث محمداً خاتم النبيين ، وحبيب رب العالمين ، وما زال في كل جيل مشهوراً ، وفي توراة موسى وانجيل عيسى مذكورا ، الى أن أخرج الله تلك الدرة ، بين بني كنانة وبني زهرة ، فأرسله على حين فترة من الرسل ، وهداه إلى أقوم السبل ، فكان له ﷺ من الآيات الدالة على نبوته قبل مبعثه مايعجز أهل عصرها . فمن ذلك قوله ﷺ « أنا دعوة أبي ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني انه خرج منها نور أضاءت له بصرى من أرض الشام » وولد ﷺ ليلة الاثنين الثاني عشر من ربيع الاول عام الفيل ، وانشق ايوان كسرى ليلة مولده حتى سمع انشقاقه وسقط أربعة عشر شرفة(١) وهو باق إلى اليوم آية من آيات الله ، وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك ، وغاضت بحيرة ساوة ، وكانت بحيرة عظيمة في مملكة العراق عراق العجم وهمدان تسير فيها السفن وهي أكثر من ستة فراسخ فأصبحت ليلة مولده يابسة ناشفة كأن لم يكن بها ماء ، واستمرت على ذلك حتى بني مكانها مدينة ساوة وهي باقية الى اليوم ، وأرسلت الشهب على الشياطين كما أخبر الله بقوله (وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع) الآية . وأنبته الله نباتا حسنا وكان أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقا وأعزهم جواراً وأعظمهم حلماً وأصدقهم حديثا حتى سماه قومه « الامين » لما جعل الله فيه من الاحوال الصالحة والخصال المرضية

ووصل بصرى من أرض الشام مرتين فرآه بحيرا الراهب فعرفه وأخبر

(١) كذا في الاصل: ولا بد ان يكون صوابه : اربع عشرة شرفة منه او من شرفاته

عمه انه رسول الله ، ونصحه أن يرده ، فرده مع بعض غلمانه وقال لعمه: احتفظ به فلم نجد قدماً أشبه بالقدم الذى بالمقام(١) من قدمه . واستمرت كفالة أبي طالب له كما هو مشهور ، وبغض اليه الاوثان ودين قومه فلم يكن شيء ابغض اليه من ذلك .

والدليل على انه رسول الله ﷺ من العقل والنقل :

فاما النقل فواضح. وأما العقل فنبه عليه القرآن :من ذلك ان ترك الله خلقه بلا أمر ولا نهي لايناسب في حق الله ونبه عليه في قوله (وماقدروا الله حق قدره إذ قالوا ماأنزل الله على بشر من شيء)

ومنه أن قول الرجل اني رسول الله إما أن يكون خير الناس واما أن يكون شرهم وأكذبهم . والتميز بين ذلك سهل يعرف بامور كثيرة ، ونبه على ذلك بقوله (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين * تنزل على كل أفاك أثيم) الآيات

ومنه شهادة الله بقوله (قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) ومنها شهادة أهل الكتاب بما في كتبهم كما في هذه الآية

ومنها — وهي عظم الآيات العقلية— هذا القرآن الذي تحداهم بسورة من مثله ، ونحن إن لم نعلم وجه ذلك من جهة العربية فنحن نعلمه من معرفتنا بشدة عداوة أهل الارض له، علمائهم وفصحائهم، وتكريره هذا واستعجازهم به ولم يتعرضوا لذلك على شدة حرصهم على تكذيبه وادخال الشبهة على الناس ،ومنها تمام ماذكرنا وهو اخباره سبحانه انه لايقدر أحد أن يأتي بسورة مثله إلى يوم القيامة، فكان كما ذكر، مع كثرة أعدائه في كل عصر، وما أعطوا من الفصاحة والكمال والعلوم

ومنها نصره من اتبعه ولو كانوا أضعف الناس . ومنها خذلان من عاداه وعقوبته في الدنيا ولو كانوا أكثر الناس وأقواهم

ومنها أنه رجل أمي لا يخط ولا يقرأ الخط ولا أخذ عن العلماء ولا ادعى

(١) مقام ابراهيم، يعني انه ﷺ أشبه الناس بابراهيم

ذلك أحد من أعدائه مع كثرة كذبهم وبهتانهم ، ومع هذا أتى بالعلم الذي في لكتب الاولى كما قال تعالى (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ، اذاً لارتاب المبطلون)

وقال رحمه الله تعالى :

ولما بلغ أربعين سنة بعثه الله بشيراً ونذيراً (وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً) ولما أتى قومه بلاإله إلا الله قالت قريش (أجعل الآلهة إلها واحداً ؟) قال الترمذى : حدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة وزيد بن مروان وغيرهم قالوا : قام رسول الله ﷺ ثلاث سنين مستخفياً ثم أعلن في الرابعة فدعا عشر سنين يوافي الموسم كل عام فيقول « أيها الناس قولوا لا إله الا الله تفلحوا ، وتملكوا بها العرب ، وتدين لكم بها العجم ، فاذا متم كنتم ملوكا في الجنة » وأبو لهب وراءه يقول لا تطيعوه فانه صابيء كذاب ، فيردون عليه أقبح الرد

ولما أمره الله بالهجرة هاجر واظهر الله دينه على الدين كله ، وقاتل جميع المشركين ولم يميز بين من اعتقد في نبي ولا ولي ولا شجر ولا حجر ، ومازال يعلم الناس التوحيد ، ويقمع من دعاة الشرك كل شيطان مريد ، حتى ازال الله الجهل والجهال وبان للناس من التوحيد ساطع الجمال

وعن انس قال : قال اناس يارسول الله ياخيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا فقال ﷺ « ياأيها الناس انا محمد عبدالله ورسوله ، ماأحب ان ترفعوني فوق منزلتي التي انزلني الله عز وجل » وعن عبدالله بن الشخير قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي ﷺ فقلت: انت سيدنا فقال «السيد الله » وعن ابن عمر ان رسول الله ﷺ قال « لاتطروني كما اطرت النصارى المسيح بن مريم انما انا عبدالله ورسوله » وما زال ﷺ معلما لاصحابه هذا التوحيد ، ومحذراً من الشرك حتى اتاهم مرة وهم يتذاكرون الدجال فقال « ألا اخبركم بما هو اخوف

ماأخاف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟ » قالوا: بلى، يارسول الله. قال «الشرك الخفي . يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل » وحتى قال «لاتحلفوا بابائكم . من حلف بالله فليصدق ومن حُلف له بالله فليرض، ومن لم يرض فليس من الله في شيء » وحتى قال « لا يقول أحدكم ما شاء الله وشاء فلان » وحتى قال « لاتقولوا لولا الله وفلان » وحتى قال « لا يقول احدكم عبدي وامتي » وحتى قال « من حلف بغير الله فقد أشرك أو كفر» وحذرهم من الشرك بالله في الاقوال والاعمال حتى قال « انما انا بشر يوشك ان يأتيني رسول ربي فاجيب، وانا تارك فيكم الثقلين كتاب الله فيه الهدى والنور ومن تركه كان على الردى » وحتى قال « خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » وحتى أنه لم يترك النهي عند الموت والتحذير . لنا من هذا الشرك حتى قال « اللهم لاتجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد » وحتى قال « دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب » الحديث ، وحتى حذرهم عن الكفر بنعمة الله قيل هو قول الرجل هذا مالي ورثته من ابائي وقال بعضهم هو كقوله : الريح طيبة والملاح حاذق ، ونحو ذلك

ولما ذكر شيخ الاسلام تقي الدين الاحاديث « امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لاإله إلا الله » وكذلك حديث ابن عمر في الصحيحين «امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة » وقال « ان الصلاة من حقها والزكاة من حقها » كما قال الصديق لعمر ووافقه عمر وسائرهم على ذلك. ويكون ذلك أنه قال قد شرع في العصمة وإلا بطل . وقد قال النبي ﷺ كل واحد من الحديثين في وقت ليعلم المسلمون ان الكافر إذا قالها حبّ الكف عنه ثم صار القتال مجرداً إلى الشهادتين

ليعلم ان تمام العصمة يحصل بذلك لئلا يقع شبهة واما مجرد الاقرار فلا يعصمهم على الدوام(١) كما وقعت لبعض الصحابة حتى جلاها الصديق رضي الله عنه ووافقوه

وقال ابن القيم في شرح المنازل(٢) : شهادة ان لا إله إلا الله الاحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد . هذا هو التوحيد الذي نفى الشرك الاعظم وعليه نصبت القبلة، وبه حقنت الدماء والاموال، وانفصلت دار الايمان من دار الكفر، وصحت به الملة للعامة وان لم يقوموا بحسن الاستدلال بعد أن يسلموا من الشبهة والحيرة والريبة بصدق شهادة صحبها قبول القلب ، وهذا توحيد العامة الذي يصح بالشواهد وهي إرسال الرسل الصنائع (٣) ويجب بالسمع ويوجد بتبصير الحق وينمو على مشاهدة الشواهد (٤) والحمد لله رب العالمين

---

(١) الاقرار بالشهادتين هو المدخل في الاسلام والعنوان على ترك الكفر السابق فهما كافيتان في العصمة من القتل في اثناء القتال واما الاعتداد باسلام قائليها بعد ذلك فلا بد فيه من اقامة الصلاة وايتاء الزكاة لقوله تعالى (فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) وقال بعدها (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين)

«٢» هذه العبارة التي نقلها هنا هي عبارة كتاب المنازل لا شارحه ابن القيم

«٣» عبارة المنازل: وهي « أي الشواهد » الرسالة والصنائع . قال ابن القيم ومقصوده ان الشواهد نوعان آيات متلوة وهي الرسالة ، وآيات مرئية وهي الصنائع

«٤» هذه آخر عبارة المنازل